ذبح
بين
إسماعيل والحسين عليهما السلام
٢٣
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

ذبح بنبي الله

بين

اسماعيل والحسين عليهما السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

فإنّ يَك اسماعـيلُ أسـلَمَ نفسـه

إلى الذبح في حِجْـر الذي هوَ راحِـمُه

وعـادَ ذبيح الله حـقّاً ولم تكن

تصـافحُهُ بيـض الظبى وتُسَالِمُه

فـإن حُسينا أسـلَمَ النفس صـابراً

على الذبح في سيف الذي هو ظـالِمُه

ومن دون دين الله جـادَ بنـفسه

وكـل نفيس كي تشـاد دَعائِمُه

ورضّت قراه العـاديات صـدرَه

وسيقت عُجف المـطايا كـرائِمُه

الشاعر

الشيخ محمد تقي آل صاحب الجواهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين..

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام غنية بعبرها وعبرتها وهي منعطف تأريخي لا يمكن أن تُذكر دون التوقف والتأمل فيها، ولا يمكن لأي احد ان ينكر ما فيها من مصائب أو يقلل من عظمتها ورزيتها في الإسلام، فتحدث عنها الكثيرون ودرسها المسلمون وغيرهم مستلهمين منها الدروس والعِبر، وذهب البعض الى أنها كانت اختبار وابتلاء لم يتعرض لمثله أحد ولعل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أوذي نبي قط مثل ما أوذيت»، هو تنبؤه صلى الله عليه وآله بما سيجري على تلك الذرية التي أوصى الله تعالى بها أن تُوَدّ، وما سيجري عليها من ظلم ومآسي فيصيبه صلى الله عليه وآله ما أصابهم، كما إن هذه القضية قد عرضت على الأنبياء لعظمتها، فجزعوا لجزع آل المصطفى قبل وقوع أحداثها بقرون كثيرة ومنهم خليل الله النبي إبراهيم عليه السلام الذي رافق ذكر الإمام الحسين عليه السلام مع حادثة ذبح ولده إسماعيل عليه السلام.

توطئة في الابتلاء الإلهي

حين صدر الأمر الإلهي في خلق الإنسان على وجه هذه البسيطة وتكليفه بالعبادة، قال تعالى: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)[1] ، وقال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[2] .

وضع الباري عز وجل قانون الابتلاء والامتحان لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب قال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون)[3]، وقال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[4] ، فالفتنة والامتحان والاختبار كان لا بد أن يقع على جميع المكلفين بالعبادة. وحين نقول الجميع من أفراد البشر أي أنه لا يخلو منهم فرد واحد إلا ويبتلى فيكون الانبياء والأوصياء أيضاً داخلين في زمرة المبتلين والممتحنين بل نجد أن الأنبياء والأئمة هم أشدُّ الناس ابتلاءً من غيرهم ثم الأمثل فالأمثل، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن في كتاب علي عليه السلام إن أشد الناس بلاءً همُ النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل ًفالأمثل وإنما يبتلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٢.
(٤) . سورة الملك/ آية ٢.

المؤمن على قدر أعماله الحسنة فمن صحّ دينه وصحّ عمله اشتدّ بلاؤه)[1] وجاء عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، (المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد في إيمانه زيدَ في بلائه)[2]

وهذا واضح لكل من تتبع حياة الأنبياء والأوصياء والمؤمنين من خلال الآيات القرآنية الصريحة والأحداث التي عرضها القرآن في قصص ابتلاء الأنبياء والأوصياء والمؤمنين خاصة.

وفلسفة البلاء تُفهم من عدة جهات أهمها:

١. إنّها اختبارٌ حقيقي من الله للإنسان لمدى إيمانه ودرجة رسوخه في القلب.

٢. الابتلاء يساعد في خروج بواطن الإنسان ومعرفة حقائقه الدفينة سواء أكانت الصالحة أم الطالحة.

٣. إن البلاء يعطى الإنسان عليه المثوبة والأجر من دون أن يعمل شيئاً.

٤. إن البلاء يبني عند الإنسان ملكة الصبر والتي تؤدي الى الصبر على المعاصي وعدم ارتكابها.

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق: ص٤٤.
(٢) اعلام الهداية / الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

وغيرها من ا لجهات المفيدة للإنسان وخاصة المؤمن لذا سنحاول في بحثنا المتواضع هذا دراسة ابتلاء نبي الله إبراهيم بذبح إسماعيل عليه السلام وما هي الثمرة من هذا البلاء والمقارنة مع ابتلاء الإمام الحسين عليه السلام بقضية كربلاء وذبحهِ عليه السلام على أيدي أعداء الله ومعرفة المقامات التي حازها نبي الله إسماعيل عليه السلام وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله باعتبارهما كانا هما الذبيحين والمقارنة في الدرجة والمنزلة لدى الباري عز وجل وأيهم أقرب منزلة عند ربه ومن الله التوفيق.

بداية قصة ذبح نبي الله إسماعيل عليه السلام

بعد أن مرت سنوات عجاف على نبي الله إبراهيم عليه السلام فلم يرزق بمولود مما دفعه الى الإلحاح في الدعاء على الله في أن يهب له الذرية وقد أخذ الكِبَر وسنيّ العمر منهُ مأخذاً كبيراً، جاءت البشارة الإلهية في تبشير إبراهيم عليه السلام على يدِ الرسل (الملائكة)، وبشّروه بأن الله سيمنُّ عليه بالذرية ويهب له على الكِبَرِ إسماعيل عليه السلام

هذا الحدث المهم في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام كان له الأثر البالغ في تعلق نبي الله إبراهيم عليه السلام بمولوده المنتظر، وجاء إسماعيل عليه السلام يحمل شمائل النبوة والصفوة من الله تعالى يصفه القرآن الكريم بقوله تعالى: (رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ)[1] .

نجد أن من أهم صفات إسماعيل عليه السلام والتي كانت ظاهرة في خلقهِ أمرين، الأوّل أنه من الصالحين والثاني أنهُ حليم.

نجد أن مرتبة الصالحين وهي الصفة الأولى لإسماعيل عليه السلام هي من المراتب العليا التي يشرف بها الإنسان ويكون ذا مقام عالٍ ومقدسٍ والدليل على ذلك من خلال الترتيب القرآني

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٠-١٠١.

المتسلسل الذي ذُكر في الآية الشريفة قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[1]، فنجد أن كلمة الصالحين جاءت آخر العد القرآني لأقسام الذين أنعم الله عليهم فمن هنا نعرف أن منزلة الصالحين هي من المراتب العليا والمنازل المقربة عند الله جل وعلا، وعليه نفهم مدى تشريف الباري عز وجل لنبي الله إسماعيل عليه السلام إذ جعله من الذين أنعم الله عليهم بنص الآية الشريفة فاصبح من الذين دخلوا في دعاء كل مسلم عند قراءته لسورة الفاتحة أن يهديه الله صراطهم قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)[2] هذا أولاً.

وأما ثانياً وصِفَ نبي الله إسماعيل عليه السلام بأنه حليم والحُلُم هو الأناة وضبط النفس والحليم الذي يؤخر العقوبة مع القدرة عليها، فنجد أن هذه الصفة العظيمة قد وُصِفَ هذا النبي من أنهُ كان متأنياً وضابطاً لنفسه وصبوراً على المحن والابتلاء ومما يزيدهذه الصفة التي اتصف بها شرفاً أنها. أي الحلم. من الصفات الإلهية الشريفة التي وصف الله تعالى بها نفسه كقوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)[3]،

(١) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٢) سورة الفاتحة: الآيتين ٥-٦
(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

وأيضاً قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ)[1] ، وقوله تعالى: (أَنَّ اللَّه غَفُورٌ حَلِيمٌ)[2]، وغيرها من الآيات الكثيرة.

هاتان هما الصفتان اللتان كانتا من أهم مقومات شخصيته نبي الله إسماعيل عليه السلام نعم يوجد هناك صفات أخرى تجسدت في شخصيته العظيمة سنأتي على ذكرها إن شاء الله في مطاوي البحث .

نعود على ذي بدء إلى أحداث قصة إسماعيل عليه السلام فبعد أن أُمر نبي الله إبراهيم عليه السلام بمسألة ترك هاجر وإسماعيل عليه السلام في وادي مكة الذي لم يكن مسكوناً بعد ولم يكن فيه بناءٌ ولا زرع ولا ماء، قال تعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّم)[3] ، بدأت منذ ذلك الحين الإمتحانات الربانية النازلة في حق إبراهيم وولده الحبيب إلى قلبه إسماعيل عليه السلام ثم منّ الله على إسماعيل وأمّه بأن فجّر لهما بئر زمزم المبارك ثم بدأت القبائل العربية تتجمع حول بيت الله الحرام في مكة [4].

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٩
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٥
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٧
(٤) نود الإشارة إلى أن أول قبيلة نزلت في مكة كانت قبيلة جرهم القحطانية من العرب العاربة.

حادثة الذبح

مـرّت سـنوات مـن عمـر نـبي الله إسماعيل عليه السلام وأصبـح فتىً يافعاً تشـع من وجهه أنوار النبوة والصفوة والهيبة القدسية. في هذه المرحلة من العمر جاءت الرؤية الإبراهيمية وهي على ما يقوله جمع من المفسرين من أنها كانت تمثل البلاء الأكبر والأعظـم في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَـهُ السَّـعْيَ قَالَ يَا بُـنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّـي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّه مِنَ الصَّابِرِينَ)[1] .

لقـد رأى إبراهيـم عليه السلام في الرؤيا أنه يذبح إبنه وعضيده الذي شاركهُ في بناء بيت الله الحرام (الكعبة المشرفة) رآه أنهُ يذبحهُ، ولأن الرؤيـا عند الأنبياء حقيقةٌ لا يسـاورها شـك، ويقين لا يخالطه باطل، عرفَ إبراهيم الخليل عليه السلام أن الله تعالى يأمره بذبـح ابنـه إسماعيـل عليه السلام ومـن خـلال الآية الشـريفة نجد أنهـا عبرت عـن الرؤيـة بصيغة الفعـل المضـارع (أرى) المفيد للاسـتمرار –أي أنه رأى أكثـر من مرة هذه الرؤية- فقد ذهب أكثر المفسـرين أنه رأى ثلاث مرات هذه الرؤية نفسـها ومنهم من قال أنهُ يراها منذ أن كان إسماعيل عليه السلام لا يزال طفلاً[2].

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٢
(٢) راجع: تفسير الميزان، وتفسير الأمثل، وتفسير الصافي

حضـر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام عند موضع الذبح الذي يذبح فيـه الآن في مواسـم الحـج وهناك أخبره بما يـرى من الرؤى مـن أنهُ يذبـح ابنه هنالك أصبح إسماعيـل عليه السلام أمام أمرين؛ الأول أن يرفض الاسـتجابة لهذه الرؤيـة الإبراهيمية ويكون عاصيـاً وخاسـراً الخسـران الأكبر في معصيتـه للأمر الإلهي والأمـر الثاني أن يسـتجيب لما أرادهُ الله منـه ويمتثل ويصبر لأمر مولاه عز وجل ومن المتوقع أن يكون إسماعيل عليه السلام ملبياً نداء أبيه وطلبه بتنفيذ تلك الرؤية الربانية، مجيباً إياه: (يا أبتِ افعل ما تؤمر سـتجدني إنشاء الله من الصابرين) فنجد من خلال نص الآية أن نبي الله إسماعيل في جوابه لأبيه ظهر منه أمران هما:

الأول: أنهُ عرف أن هذه الرؤية ليست حلماً عابراً أو ما يسمى بأضغـاث أحـلام بل هي رؤيـة صادقة تعبر عـن حقيقةٍ الأمر الإلهـي وذلـك من خلال قولـه عليه السلام عن الرؤيـة بالأمر الإلهي (افعل ما تؤمر).

الثاني: أنهُ علّق صبرهُ على هذا الابتلاء الرباني على مشيئة الله بقوله عليه السلام: (سـتجدني إنشـاء الله من الصابرين)، مؤمناً أن ملكـة الصـبر التي ستتجسـد في موقفه هـذا إنما هي من فضل الله عز وجل عليه وليس بالاعتماد على نفسه فحسب،

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى التوكل والعبودية التي كانت عند نبي الله إسماعيل عليه السلام اتجاه ربه عز وجل.

ثم بعد أن أسلما كليهما للأمر الإلهي. إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ووضعه على الأرض واضعاً جبينه عليها شاهراً سكينه مسلّماً إلى الله أمرهُ قال تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين)[1] .

ذلك النداء الالهي ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، لقد بدل الله أمر الذبح لاسماعيل وأنزل بدله كبشاً من السماء وأمر أن يذبحه بدلاً من إسماعيل قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ لقد نسخ الامر الالهي بعد أن نجح إبراهيم وابنه إسماعيل في هذا البلاء العظيم الذي ترتب عليه نيلهما للمقامات العالية التي لم ينلها الكثير من الانبياء بدليل أن مقام الإمامة الذي ناله إبراهيم عليه السلام كان بعد هذا الامتحان الإلهي والتمحيص الرباني، الى هنا انتهت قصة الذبح لإسماعيل والاجواء التي مرّ بها كلٌّ من إبراهيم وإسماعيل.

---

(١) .سورة الصافات: الآية ١٠٣.
(٢) . سورة الصافات / آية ١٠٤ـ ١٠٥.

لماذا لم يذبح نبي الله اسماعيل عليه السلام؟

من العقائد التي اختصت بها مدرسة أهل البيت عليهم السلام هي عقيدة البداء وذلك من خلال انفرادها بهذه العقيدة دوناً عن باقي المدارس الكلامية وكانت موضع تشهير وتوهين من قبل باقي المدارس المخالفة لعقيدة اهل البيت عليهم السلام بل وصل الامر الى أنهم اتهموا هذه المدرسة الشريفة (أهل البيت) الى اتهامات باطلة وصلت إلى درجة أنهم قالوا في أن الشيعة الإمامية تنسب الجهل الى الله تعالى وتصفه بإنه جلّ وعلا يتصرف بالأمور تصرفاً وقتياً آنياً، فإذا تبين له أن هناك خللاً أو مشكلة ما فإن الله يبدل الأمر الى أمر ثانٍ، وهذا كلام عارٍ عن الصحة، وليس كلام من قرأ وفهم ما هي عقيدة البداء لدى الشيعة الإمامية، وبصورة مختصرة فإن عقيدة البداء هي من العقائد التي ترتقي بالإيمان وهي أيضاً العقيدة التي يمكن لمن فهمها فهماً جيداً يستطيع من خلالها أن تتضح لديه الكثير من المشاكل أو الالتباسات العقائدية التي تمر به أثناء حياته أو من خلال قراءته للقرآن الكريم والأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام.

نستطيع من خلال هذه العجالة أن نوضح فحوى هذه العقيدة وذلك من خلال هذا الشرح الموجز فنقول:

البداء هو مشتق من البِدُوّ، ويعني الظهور بعد الخفاء، ونقول بدا الشيء أي أنه ظهر بعد أن كان مخفياً، هذا هو المعنى اللغوي، وأما الاصطلاحي فمعناه ان الله يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر، ويوقف ذلك الأمر الأول فيكون المراد النهائي لله تعالى، هو هذا الأمر الثاني ولكنه أخفاه ثم أظهره بعد حين فيسمى هذا الإظهار للأمر الثاني «البداء».

يبقى أمر مهم يجب توضيحه وهو أن الله عز وجل حينما يخفي أمراً ويظهره بعد حين كما قلنا فإن هذا لا يلزم منه نسبة الجهل الى الله تعالى، وإنما علم الله تعالى ثابت في كل حين، ولكن لعلمه المسبق بالأمور والحوادث قبل أن تقع وكذلك يعلم عز وجل بمكامن المصلحة والمفسدة في الأمور فإنه يؤجل الأمر المراد منه لعدم وجود المصلحة في هذا الوقت أو أن المراد لله تعالى لا يتحقق إلا إذا أخفي هذا الأمر الآن ويظهره فيما بعد لوجود المصلحة.

هذا الشرح السريع لعقيدة البداء يوضح لنا أو يعطينا لمحة أولية عن مسألة عدم ذبح إسماعيل عليه السلام بعد أن أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام فهنا نجد أن عقيدة البداء هي العقيدة الكفيلة في فهم حقيقة هذه القصة القرآنية فإن الله عز وجل أراد لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن

يصلا الى مقام من المقامات الرفيعة ودرجة من درجات القرب الإلهي والتي لا ينالها إلا الأوحدي ومن مرّ بعدة ابتلاءات ربانية، فالله عزوجل أراد منح إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هذا المقام وهذه الرتبة الرفيعة وكانت هذه الإرادة الإلهية في ذلك الوقت «قبل حادثة الذبح» مخفية عن إبراهيم وإسماعيل وكان الظاهر لهما إن الله يريد من نبيه إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده إسماعيل عليه السلام فبعد أن اسلما وتلّه للجبين وعلم الله منهما صدق النية أظهر الله ما أراد إخفائه وهو نيلهما تلك المقامات والرتب الرفيعة بين الأنبياء والرسل وبصورة مختصرة لم تكن الارادة الحقيقية لله تعالى هي ذبح إسماعيل وإنما المراد والمطلوب هي إرادة المولى عز وجل لنبيه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يبتليهما حتى يكونا مؤهلين لنيل تلك المقامات وتلك الرفعة.

ثم ان هناك أمر آخر كان مخفياً عنهما ايضاً واظهره الله تعالى لهما بعد ان نجحا بهذا الامتحان الالهي، ألا وهو أن الذبح سيكون في أحد أولاد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهو الإمام الحسين عليه السلام ولكن هذه المرة لن يكون الذبح على يد أحد الأنبياء أو الأوصياء وإنما يكون على أيدي أناس ظلمة كفرة ينتسبون الى أمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وستكون هناك زيادة في البلاء على أمر الذبح وهو أن يكون هناك قرابين من

أهل بيت الحسين عليه السلام وأصحابه، بل ستكون هناك فاجعة لا تقل عن فاجعة ذبح الإمام الحسين عليه السلام ألا وهي سبي عيالات ونساء أهل بيت الحسين عليه السلام وأخذهم أسارى على ايدي زمرة ظالمة تنتسب كذباً الى أمة جده محمد صلى الله عليه وآله.

ففي كتاب الخصال عن ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: {لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل عليه السلام الكبش الذي أنزل عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وإنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع الى قلبه ما يرجع الى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده عليه بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم من أحب خلقي اليك، فقال: يا رب ما خلق خلقاً هو أحب إليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله اليه: أفهو أحب إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحب إليّ من نفسي قال: فولده أحب أليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبْح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا رب بل ذبحه على أيدي اعدائه أوجع لقلبي. قال يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم لذلك وتوجع

قلبــه وأقبل يبكي، فأوحى الله عــز وجل: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل ـ لو ذبحته بيدك ـ بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله، وأوجبت لك ارفع درجات أهل الثواب على المصائب وذلك قوله عز وجل ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ }[1]

بعد اســتعراض هذه الرواية الشريفة الصادرة من بيت النبوة على فم الإمام الرضا عليه السلام يتبين لنا أن مســألة ذبح إسماعيل لم تصــل الى الدرجة من الابتلاء والمصيبة التي وصلت اليها قضيــة ذبح الحســين عليه السلام فكان الذي يرفــع مقام إبراهيم عليه السلام ونيله المقامات العليا في القرب الإلهي هو جزعه على الحسين بعد أن مر بهذا الامتحان (الثاني) وهو أن ذبح الحسين سبط النــبي ومصيبــة أهلــه علــى يــد أعــداء الله كان أوجــع لقلب إبراهيم من قضية ذبح إسماعيل على يدهِ، ومن خلال الرواية الســابقة نجد أن الإمام الرضــا عليه السلام أوَّلَ عبارة (وفديناه بذبح عظيم) للحسين عليه السلام فنجد أن التعبير القرآني عبّر عن رفعة مقــام الإمــام الحســين بالذبــح العظيم حســب تأويــل الإمام الرضا للآية الشريفة، فنفهم ان هذا الذبح العظيم ما هو إلا الإمام الحســين لا يكون إلا ببقاء إسماعيل عليه السلام لأن الحســين من نسله صلوات الله عليه فمن خلال هاتين الجهتين:

الجهة الاولى: إن مقام إبراهيم الخليل عليه السلام لا يناله إلا إذا مرّ

(١) . الخصال ص ٥٨ ـ ح ٧٩/ البحار ج ١٢ـ ص ١٢٤و ج ٤٤ ـ ص ٢٥٥.

بهـذا الامتحان وهو مسـألة ذبح ابنـه إسماعيل؛ ولما كان ذبح الحسـين أوجـع لقلبه وأشـد مصيبـة وألماً عليه مـن ذبح ابنه إسماعيل دفع الذبح عن ابنه إسماعيل الى ابنه الحسين.

ا لجهـة الثانيـة: إن مقام الحسـين عنـد الله ارفـع درجة وأعز مقاماً من إسماعيل عليه السلام وإنه ذبح عظيم حسب الآية الشريفة وتأويل الإمام الرضا عليه السلام وأن الامتحان الإلهي الذي امتحن به إبراهيم عليه السلام أي ذبح الحسـين عليه السلام لا يكون إلا ببقاء إسماعيل لأن الحسين من ذريته عليه السلام وهكذا كان لا بد من بقاء إسماعيل عليه السلام وانتقال الذبح الى الإمام الحسين عليه السلام.

شبهة:

قد يرد سؤال من معترض وهو أنه إذا كان شأن ومقام ومنزلة الإمـام الحسـين عليه السلام ارفع درجة من شـأن ومقـام ومنزلة نبي الله إسماعيـل عليه السلام فكيف يكـون الفداء أفضل من المفدى عنه والمعروف أن الفداء يكون دائماً أقل شأناً من المفدى عنه؟؟؟

الجواب:

يمكننا ا لجواب على هذه الشبهة من عدة وجوه:

الاول:

إن الإمام الحسين لم يكن فداء بدل ذبح إسماعيل وإنما أمْر وقضية ذبح الإمام الحسين عليه السلام مقررة منذ أن بدأت هذه الحياة وإنما كان المراد من إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يمرا بهذا الامتحان الإلهي لينالا أرفع الدرجات وأكمل المقامات.

الثاني:

إن الاختيار الإلهي وقع على الحسين في أن يذبح في ارض كربلاء لما فيه من مصلحة وغاية أسمى لهذا الدين وهو دين محمد صلى الله عليه وآله وهذه الفائدة وهذه المصلحة لا تكونان إلا بالحسين و مصيبته عليه السلام ومن ثم لا تكون إلا ببقاء إسماعيل عليه السلام على قيد الحياة حتى يكون (أي الإمام الحسين) من ذريته ونسله فهذا هو معنى تأويل الإمام الرضا عليه السلام (وفديناه بذبح عظيم) لأن الذبح للحسين عليه السلام سيكون فيه دوام ونشر واستمرار هذه الدين الحنيف الذي هو خاتمة الأديان ونهاية المطاف بالنسبة للشرائع السماوية.

بين الذبيحين

إذا كان الإمـام الحسـين هو من وقع عليـه أمر الذبح ولم يقع على إسماعيل عليه السلام يأتي هذا السؤال هل هناك أوجه شبه بين الإمام الحسين عليه السلام ونبي الله إسماعيل عليه السلام.

للإجابة عن هذا السؤال نحاول استعراض أوصاف إسماعيل عليه السلام ومن خلالها نلاحظ هذه الصفات في سـبط النبي الأكرم الحسـين بن علي عليه السلام ومعرفـة حال المنزلـة والدرجة والرفعة عند الله تعالى لكليهما.

الحلم والصلاح والصبر:

وردت صفة الحلم في حق نبي الله إسماعيل عليه السلام وقد أوضحنا جزءً منها في مقدمة البحث حيث قلنا إن صفة الحليم تطلق علـى الذي لا يتعجل العقوبة مع القدرة عليها فهي مشـتقة من صفة الصبر قال تعالى ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (١)

كان الحلـم إذن من اول الصفات التي بشـر بهـا إبراهيم لابنه إسماعيـل فـكان إسماعيل عليه السلام حليمـاً صابراً محتسـباً وقد تظهـر هـذه الصفـة اكثـر وضوحاً حينمـا عرض عليـه أبوه إبراهيـم الخليل عليه السلام مسـألة ذبحـه فأجابه مباشـرةً «يا أبت

(١) . سورة الصافات/ آية ١٠١.

أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين» فالظاهر من هذا القول لنبي الله إبراهيم عليه السلام من خلال الآية الشريفة مدى صبر وحلم هذا النبي العظيم والتسليم المطلق لأمر الله جلّ وعلا، وهنا يجب أن تقف وقفة مع ذبيح الله إسماعيل ومعرفة منزلته العظيمة التي كان عليها، فمن المعلوم ان المقامات العالية والمنازل المقربة لا ينالها الإنسان إلا من خلال المرور بهذه الامتحانات والابتلاءات الربانية وهنا تأتي المشاهدة الثانية وهي موقف الإمام الحسين وبداية ثورته التي جاءت بأمر إلهي وتكليف رباني فماذا كان تصرف الإمام الحسين تجاه هذه الامور العصيبة عليه وعلى أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين؟

وردت رواية توضح مدى التوكل والانصياع للأمر الإلهي فبعد أن جرى حوار بين الإمام الحسين عليه السلام وأخيه محمد بن الحنفية ونصحه في أن يبقى في مكة أو ينتقل الى اليمن لما فيها تحصين ومنعة اكثر من الكوفة، أجابه الإمام الحسين عليه السلام أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال يا حسين أخرج فإن الله شاء ان يراك قتيلاً، فقال له أبن الحنفية: إنا لله وإنا اليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذه الحالة؟ فقال له قد قال لي ان الله شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى »[1] .

(١) . اللهوف في قتلى الطفوف ص ٤٠.

تتضح من مقارنة هذا الموقف مع موقف إسماعيل عدة أمور:

الاول:

إن مسألة الابتلاء والتكليف به من قبل الباري عز وجل جاء عن طريق الرؤيا في كلا الحادثتين أعني ذبح إسماعيل وذبح وقتل الإمام الحسين وقتله.

الثاني:

أن الرؤيا كانت لإبراهيم عبارة عن مشاهدة الحادثة فقط حيث قال ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ بينما الإمام الحسين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يكلفه صريحاً بالرحيل الى كربلاء ومسألة قتله.

الثالث:

إذا كان التسليم والصبر الذي كان عليه إسماعيل عليه السلام متعلقاً بذبحه على يد أبيه إبراهيم شيخ الانبياء فإن تسليم الإمام الحسين وصبره كان متعلقاً بذبحه وقتله على يد أعداء الله والرسالة، وهم قوم مسخت قلوبهم وتحولوا الى حجارة بل أشد صلابة ليس هذا فحسب بل هناك زيادة في هذا البلاء

أكثر من مسألة الذبح وهي مصيبة سبي النساء بعد ذبحه عليه السلام وهذه المصيبة الثانية تكفي في هد ا لجبال الرواسي وهذا واضح لكل صاحب شرف وغيرة فلو خُيّر أحد بين أن يقتل أو تسبى نساؤه وتقتل أطفاله لاختار القتل على السبي فكيف إذا كان الامر مجموعاً سوية من قتل وسبي فأي مصيبة هذه التي حلت على قلب الحسين عليه السلام وأي تسليم لله وإذعان للأمر الإلهي فاعرف الفارق بين الذبيحين وفقك الله.

الرابع:

إن ذبح إسماعيل كان اختباراً له ولأبيه إبراهيم عليهما السلام ومنفعة وفائدة عائدة لكليهما سلام الله عليهما، بينما نجد أن مسألة قتل الحسين عليه السلام وذبحه مع الزيادة في البلاء وهي سبي النساء والعيال نفعها وفائدتها راجعة للأمة والدين الإلهي والشريعة المحمدية وهذا هو ما وضحه الإمام الحسين عليه السلام حين خرج على يزيد ثائراً ورافضاً حين قال « وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن ابي طالب عليهما السلام » [1] وهذا فارق آخر يبين الفرق بين ذبيح الله إسماعيل عليه السلام وذبيح الله الإمام الحسين عليه السلام.

(١) . بحار الانوار ج ٤٤ / ص ٣٢٩ و المناقب لابن شهر أشوب ج ٤/ ص ٨٩.

الخامس:

إن المرور بالامتحان يختلف درجة فيمن كان سيذبح ولم يقع الذبح وبين من أُخبر بالقتل والذبح والسبي ووقع عليه ما أخبر به مطابقاً، فلقد ثبت عن الحكماء وأصحاب العقل السليم والوجدان الواعي أن هناك فرقاً بين أن تخبر بشيء ثم تستعد له ثم لا يقع وبين أن تخبر به وتكون صابراً محتسباً وبالفعل يقع عليك نصاً ومنطبقاً انطباقاً كلياً، فإن نبي الله إسماعيل عليه السلام أخبره أبوه إبراهيم عليه السلام أنه يراه في المنام يذبحه فاستعد لمواجهة هذا الامتحان وهذا الاختبار ووطّن نفسه على هذا البلاء ولكن لم يقع ما استعد له ودفع عنه بينما نجد الإمام الحسين في موقفه قد حاز المرتبة العليا فقد كان صابراً حليماً في إخباره بأنه يقتل في كربلاء ويذبح بين النوواويس وكربلاء وقد انطبق هذا الامر بحذافيره انطباقاً تاماً، فمارس الإمام الحسين ا لجهتين إذا صح التعبير من الناحية النظرية والناحية العملية في ابتلاءاته والمصائب التي حلت عليه سلام الله عليه، وهذا هو ما أشرنا اليه آنفاً بأن هناك فرقاً كبيراً بين الناحية النظرية من جهة وبين الناحية النظرية والعملية من جهة اخرى، وعلى كلا الاتجاهين يكون التفاوت بين الدرجات والمنازل التي يتحصل عليها الإنسان، فعلى اقرب مثال نجد إن إسماعيل عليه السلام كانت له منزلة رفيعة

بين مصاف الانبياء سلام الله عليهم ودرجة كمال، ربما لم يتحصل عليها أو يكون فيها الكثير من الانبياء ولكن مع هذا نجد نبي الله إسماعيل عليه السلام مع هذه المنزلة الرفيعة لم يحز ما حازه الإمام الحسين من مقام الشفاعة لأمة محمد صلى الله عليه وآله ولم يكن لهذا الاختصاص باستجابة الدعاء تحت قبته الشريفة والشفاء بتربته، وقد وردت هذه الرواية موضحة بعض منازل الحسين والاختصاص بها دون غيره ﴿ ... يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة، ألا من زاره فكأنما زارني ومن زارني فكأنما زار الله وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار وإن الاجابة تحت قبته والشفاء في تربته والائمة من ولده ... الى آخر الرواية ﴾ [1] هذه رواية واضحة البيان في ابراز بعض المنازل التي حازها الإمام الحسين دون غيره بل حتى أن نبي الله إسماعيل مع ماله من الشأن الذي تكلمنا عنه لم ينل هذه المنازل والكرامات من الله تعالى، وهذا التفاوت بين المنازل والمقامات إنما سببه عائد الى ما أوضحناه من أن المرور بالامتحان نظرياً فقط يختلف درجةً من المرور بالامتحان والابتلاء الإلهي نظرياً وعملياً.

---

(١) . كفاية الأثر ص ٣.

السادس:

إن نبي الله إسماعيل عليه السلام حاز مكانة مهمة بالنسبة لذرية نسل الانبياء بأن كان فيه الامتداد لذرية الانبياء بالاضافة الى الامتداد الآخر لذرية الانبياء ايضاً وهو إسحاق، وهذه منزلة ومرتبة تعد من المنازل التي اختص بها بعض الانبياء دون البعض الآخر، ثم نجد ايضاً هذا المقام وهذه المنزلة كانت ايضاً موجودة لسبط الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله الإمام الحسين فقد اختص هو ايضاً بهذا الشرف العظيم والمنزلة الرفيعة بأن كان من ذريته ايضاً نسل الإمامة وامتدادها فقد مر في الرواية السابقة في الجهة الخامسة بأن الائمة من ولده عليهم السلام.

إذا لاحظنا هذه الجهة وهي جهة الذرية الصالحة من الانبياء والائمة في كل من هذين الذبيحين (الحسين و إسماعيل عليهما السلام) نجد ايضاً أن هناك فارقاً كبيراً بين المنزلتين وذلك لما هو متفق عليه في الأبحاث الكلامية من أن منزلة الإمامة الإلهية هي من اشرف المنازل التي يصل إليها المعصوم وذلك لأن مقام الإمامة التي حصل عليها إبراهيم عليه السلام كانت في آخر عمره الشريف حينما بشره الله بها في قوله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [1] وهذه المنزلة التي حباه الله بها لم تكن

(١) . سورة البقرة/ آية ١٢٤.

عنده من قبل وإلا فلا داعي لأن يخاطبه المولى عزّ وجل بأني جاعلك للناس إماماً وهو مقام شريف ورتبة عالية تحصّل عليها بعد كونه نبياً ورسولاً ومن أولي العزم وإنه خليل الله فمن هنا نعرف مدى سعة هذه المنزلة الرفيعة وعظمها.

فإذا تبين هذا نقول إن مسألة الإمامة كانت من مختصات الإمام الحسين عليه السلام وأنه أبو الائمة مباشرةً وإن الائمة من ولده بينما إسماعيل عليه السلام لم يحز على هذا الفضل وهو الرتبة في أن يكون إماماً أو تكون الإمامة في ذريته مباشرة وهذا فارق أخر من الفوارق بين المنازل التي جعلها الله لأوليائه عليهم السلام قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [1] .

(١) . سورة البقرة / آية ٢٥٣.

طلب الثأر

إن ارتباط الإمام المهدي عجل الله فرجه بقضية الإمام الحسين عليه السلام ارتباطاً امتدادياً تكميلياً لما أراده الإمام الحسين من قضية خروجه وثورته ضد الظلم واصلاح أمر الامة التي بدأت تسوء حالها وتضمحل فيها الروح الاسلامية التي بذرها رسول الله صلى الله عليه وآله في صدور هذه الامة فكانت ثورة الحسين عليه السلام لهذه المسألة الضرورية والمهمة. وهذا ما نجده واضحاً من خلال كلماته عليه السلام حينما قال ﴿ ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ﴾ وهذه هي المسيرة نفسها التي سينهجها إمامنا المفدى أرواحنا لمقدمه الفداء الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه من طلب الاصلاح في أمة جده سلام الله عليه مكملاً طريق الدماء التي ارتفعت لأجل حماية الدين وحفظ هذه المسيرة الربانية، ونتيجة لهذه المسألة سيكون الإمام المهدي طالباً بالثأر لجدهِ الحسين عليه السلام من قتلته والطغاة الذين طالما أرادوا طمس المعالم الحقيقية لهذا الدين الحنيف.

لذا نجد أن مسيرة الإمام المهدي عجل الله فرجه في مسألة طلب الثأر ليست مسألة طلب ثأر لعشيرة أو رابطة دم أو اجتماع المصالح الدنيوية أو عصبية جاهلية وإنما هي مسألة طلب

الثـأر لذبيح الله الاعظم على يد ولي الله وحجته على خلقه أجمعـين وهذا الذي قصدناه في بداية الـكلام من طلب الثأر بأن مسيرة الإمام الحسين كانت مسيرة نحو تحقيق الأهداف المرجوة التي بعث لأجلها الانبياء وخاتمهم الرسـول الاعظم صلى الله عليه وآله وكانـت دماء الحسـين عليه السلام هي المد الحقيقي لهذه المسـيرة الطويلة التي بدأت من آدم عليه السلام وصولاً الى الحسين عليه السلام فكانت المنهجية التي سيسـير عليها الإمام المهدي عجل الله فرجه هي أخذ الثار لجده الحسـين عليه السلام الـذي يمثل في الحقيقة أخـذه من اعداء هـذه المسـيرة الطويلـة التي وقعـت فيهـا الكثير مـن الدماء لأنبيـاء الله والأوصيـاء حتـى ختمـوا هـذه الرحلـة الدامية بذبيح الله الأعظم الحسين بن علي عليهما السلام.

من خلال هذا الاستعراض السريع نلاحظ عدة امور:

١. إن الإمام المهدي عجل الله فرجه سيكون مطالباً بدم جده الحسين دون غيره من الانبياء والمعصومين عليهم السلام.

٢. إن مسـيرة الإمام المهدي هي مسـيرة تكميلية لمسيرة الإمام الحسين هدفها طلب الإصلاح في أمة محمد صلى الله عليه وآله.

٣. إن أهـم مـد عاطفي لقضية الإمام المهدي هي مصيبة ذبح الحسين واولاده وسبي عيالهِ.

٤. إن مسألة ذبح الحسين كان لها أثر كبير في الدعوة التي سيقوم لها الإمام المهدي عليه السلام دون بقية آبائه وأجداده عليهم السلام مع انهم قتلوا ايضاً.

اجتماع هذه الامور يعطينا صورة واضحة من أن شأنية الإمام الحسين وذبحه عليه السلام حازت من الأمر العظيم في قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه وهذا يدل دلالة واضحة على عظمة هذا الإمام الذبيح وأشرفيته عليه السلام وهذا الشرف وهذا المقام الرفيع لم ينله أي ذبيح من قافلة الأنبياء والأوصياء والصالحين.

ورد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في زيارة الناحية المقدسة:

﴿فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك

وتأسفاً على مادهاك وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب وغصة الاكتئاب﴾[1]

(١) . مصباح الزائر لابن طاووس ص١٢١.

الفـهرس

المقدمة ٣

توطئـة في الإبتـلاء الالهي ٤

بدايـة قصِـة ذبح نبي الله إسِـماعيل عليه السلام ٧

حـادثة الذبح ١٠

لمـاذا لم يـذبح نبي الله إسِـماعيل عليه السلام؟ ١٣

بين الذبيحـين ٢٠

طـلب الثـأر ٢٨

ورد عن الإمام المهدي عجل الله فرجه

في زيارة الناحية المقدسة

﴿فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك وتأسفاً على مادهاك﴾

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

راسلونا fikriya@aljawadain.org

زورونا www.aljawadain.org